

الحافظ محمد بن عبد الله التنسي الجزائري وجهوده في خدمة القرآن الكريم
ومعالم منهجه ومسلكه في كتابه: "الطراز في شرح ضبط الخراز"

Al-Hafiz Muhammad bin Abdullah Al-Tansi Al-Jaza'iri
And his efforts in serving the Holy Qur'an and the features of his
approach and path in his book:
"Al-Taraz fi Sharh Taqib Al-Kharaz"

نور الدين بوكريد *
boukredid2010@gmail.com

جامعة غليزان (الجزائر) ،

تاريخ الارسال: 2024/11/01 تاريخ القبول: 2025/02/21 تاريخ النشر: 2025/03/31

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى التعريف بعلم من أعلام الجزائر وإبراز جهوده في خدمة القرآن الكريم عموماً وعلم ضبط القرآن خصوصاً، يعود نسبه إلى حوض الشلف بحاضرة تنس ، نشأ نشأة علمية في تلمسان التي تلقى فيها العلم على يد علمائها في القرن التاسع الهجري، وهو الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899 هـ ، الذي أسهم في تحقيق النهضة العلمية والمعرفية بحاضرة تنس وتلمسان في عهد الدولة الزيانية في زمانه ، كما كان لكتابه امتداد وتأثير في داخل الجزائر وخارجها لا يزال العالم الإسلامي ينهل من علمه إلى اليوم، وبخاصة كتابه الموسوم بالطراز في شرح ضبط الخراز في فن ضبط القرآن الكريم الذي سأخصه بالدراسة من خلال التعريف بالكتاب وبصاحبه وبيان مضمونه والتوصل في خاتمة المقال إلى تحديد قيمته العلمية وتوضيح ملامح منهجه وأسلوبه .
الكلمات المفتاحية: التنسي، جهود، التنسي، الضبط، الطراز.

Abstract:

This article aims to introduce one of the Algerian figures and highlight his efforts in serving the Holy Qur'an in general and the science of Qur'anic composition in particular. His lineage goes back to the Chlef Basin in the capital of Tennis. He had a scientific upbringing in Tlemcen, where he received knowledge at the hands of its scholars in the ninth century AH. He was the Hafiz Muhammad bin Abdullah bin Abdul Jalil al-Tanisi, who died in the year 899 AH, who contributed to achieving a scientific and cognitive renaissance in the metropolis of Tennis and Tlemcen during the era of the Zayaniyya state in his time, as was the case. His writings have an extension and influence inside and outside Algeria The Islamic world still draws from his knowledge to this day, especially his book titled Al-Taraz in explaining the art of setting the beads in the art of setting the Holy Qur'an, which I will devote a study to by introducing the book and its author, explaining its content, and arriving at the conclusion of the article to determine its scientific value and clarify the features of its approach and style.

Keywords: Tennis, efforts, tennis, control, style

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد بذل علماء حاضرة الشلف وتلمسان في العهد الزياني مجهودات وقدموا إسهامات في مجال الكتابة والتأليف في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والإنسانية والكونية¹، وكان لهم بصمات واضحة في إرساء العلاقات العلمية بين الحواضر الجزائرية وغيرها من الحواضر الإسلامية، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى حاضرة تلمسان والدولة الزيانية التي نشأ وتعلم فيها هؤلاء الأعلام وتقربوا من ملوكها²، ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ الموسوعي الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899هـ، ذلك العالم الذي تفوق في عصره ونبع وألف في عدة علوم منها: علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والأدب والنظم، وسأحاول أن أركز في هذا المقام على بيان جهوده في خدمة كتاب الله خاصة من خلال كتابه الذي اشتهر وانتشر وذاع صيته ولقي قبولا عند الناس، وهو "الطراز في شرح ضبط الخراز" في علم ضبط القرآن الكريم.

الإشكالية:

إلى أي حد أسهم الحافظ التنسي في إثراء مكتبة علوم القرآن وبخاصة ضبطه؟ وما قيمة تلك الجهود؟ وما أثرها في الماضي والحاضر؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

— ما هي ملامح حياة العلامة الموسوعي الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الشخصية والعلمية؟

— ما دوره في إرساء العلاقات العلمية بين الحواضر الجزائرية وغيرها من الحواضر الإسلامية؟

— ما مدى عنايته وخدمته لكتاب الله عز وجل؟

¹ قراءة في سير وتراجم علماء تنس في العهد الزياني من خلال المصادر التاريخية، علماء بيت آل التنسي أنموذجاً، نعيمة بوكريدي، ص 1-2، وانظر أيضاً: حاضرة تنس ودورها في دعم الحكم الزياني - سياسياً وفكرياً -، عائشة تازي، عمارة فاطمة الزهراء، ص 9.

² أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 279-323.

— ما ابرز ما يميز منهجه و ما هي طريقة تأليفه لكتابه: " الطراز في شرح ضبط الخراز " ؟
— ما آراء الكتاب والنقاد في تأليف " الطراز في شرح ضبط الخراز " وهل ترقى تلك الآراء إلى التأسيس لإضافات علمية جاء بها الكتاب ؟

ثانياً : أهداف الدراسة:

من بين الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها المقال ما يلي:

- بذل الجهد في التعريف بأعلام الجزائر ومآثرهم الفكرية والعملية خاصة في مجال خدمة القرآن الكريم عبر الأجيال، وتقدير جهود هؤلاء الأعلام ودورهم في إثراء الفكر الحضاري والإنساني مشرقاً ومغرباً .
- الإسهام في التعريف بالعلامة محمد بن عبد الجليل التنسي وذلك ببيان حياته الشخصية والعلمية ليكون نبزاً تقديرياً للأجيال الصاعدة .
- بيان القيمة العلمية لكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز للحافظ التنسي وتوضيح مميزات المنهجية شكلاً ومضموناً .

ثالثاً : منهجية الدراسة:

منهج الدراسة تضمن جانبين، جانب وصفي تاريخي اعتمدنا فيه النقل ويشمل السيرة الذاتية للحافظ التنسي بشقيها الشخصي والعلمي، وجانب آخر تضمن دراسة وصفية لمؤلفه الطراز في شرح ضبط الخراز .

رابعاً: خطة الدراسة:

تمثلت خطة مقالتنا في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول : التعريف بالعلامة الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي.
- المبحث الثاني : التعريف بمصنفه "الطراز في شرح ضبط الخراز" ومنهج مؤلفه فيه
- المبحث الثالث : إسهامات التنسي رحمه الله في علم الضبط من خلال هذا الكتاب.
- خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي

المطلب الأول: حياته الشخصية:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي⁽³⁾ التلمساني⁽⁴⁾ من أجل علماء الجزائر في القرن التاسع الهجري، ولد سنة 832هـ- 1428م⁽⁵⁾، بتنس شمال غرب الجزائر، وتوفي سنة 899هـ- 1494م⁽⁶⁾.

الفرع الأول: حياته العلمية:

لقد بدأ الحافظ التنسي رحمه الله حياته العلمية على يد أبيه في تنس فحفظ عنه القرآن الكريم وبعض العلوم، وقد اشتهر بالعلم وهو في تنس، ثم سافر إلى تلمسان، وأخذ مختلف العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وتاريخ ولغة... على يد شيوخ كثير ذكر منهم: الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني المتوفى سنة 842هـ⁽⁷⁾، وأحمد بن زاغوا التلمساني المتوفى سنة 845هـ⁽⁸⁾، ومحمد بن إبراهيم ابن الإمام أبو الفضل التلمساني المتوفى سنة 845هـ⁽⁹⁾ ومحمد بن النجار التلمساني المتوفى سنة 846هـ⁽¹⁰⁾، وأبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني المتوفى سنة 854هـ⁽¹¹⁾، وأبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد العبادي المتوفى

⁽³⁾ شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 120/8، وانظر أيضاً: أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 329.

⁽⁴⁾ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الحافظ المقرئ، نفح الطيب، الحافظ المقرئ، 574/2، مرجع سابق.

⁽⁵⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدرر والعقيان، ص 10.

⁽⁶⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدرر والعقيان، المرجع نفسه، ص 24، وانظر أيضاً: أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، وفيات الونشريسي، ص 153.

⁽⁷⁾ قال عنه تلميذه التنسي: "...شيخنا الإمام العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق"، انظر ترجمته في: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 201، وانظر: أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 393.

⁽⁸⁾ خير الدين الزركلي، الأعلام، 142/1.

⁽⁹⁾ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 140/2.

⁽¹⁰⁾ أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 241.

⁽¹¹⁾ شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 181/6.

سنة 871هـ⁽¹²⁾، والحسن بن مخلوف المتوفى سنة 857هـ وأبو سليم التازي المتوفى سنة 866هـ، وغيرهم كثير، والمعروف عن كل هؤلاء الأعلام أنهم من تلمسان.

هذا ولقد شغل الحافظ التنسي كل وقته في طلب العلم والتدريس والتصنيف في بيته وبالمسجد وكذا المدرسة اليعقوبية، أين كان يقصده الطلاب لتلقي العلم على يديه من مختلف البلدان والحواضر كما سنرى بعد قليل، وقد تتلمذ على الحافظ الإمام محمد بن عبد الجليل التنسي كثير من التلاميذ نذكر منهم⁽¹³⁾: أحمد زروق المتوفى سنة 899هـ⁽¹⁴⁾ وأحمد بن محمد بن محمد بن الحاج التلمساني المتوفى سنة 930هـ⁽¹⁵⁾ ومحمد بن سعد أبو عبد الله التلمساني المتوفى سنة 901هـ⁽¹⁶⁾، وأحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف⁽¹⁷⁾، ومحمد بن مرزوق السبط المتوفى بعد سنة 920هـ⁽¹⁸⁾، وبلقاسم بن محمد الزواوي المتوفى سنة 920هـ⁽¹⁹⁾، وآخرون.

كما ترك العلامة الحافظ التنسي تراثاً علمياً في مختلف الفنون، من أدب وتاريخ وفقه ونظم علوم قرآن ومن أهم مؤلفاته ما يلي⁽²⁰⁾:

1- "نظم الدر والعقيان في التعريف بسلف ابن زيان ومن سلف من ملوكهم الأعيان"⁽²¹⁾، وقد ألفه لمولاه المتوكل لحمله على النصح للرعية والعدل، وهو كتاب تاريخ وديوان شعر وحكم وأدب ونوادر، ويتكون من خمسة أقسام، وكل قسم مستقل بمضمونه⁽²²⁾.

⁽¹²⁾ أحمد بابا التميمكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 318.

⁽¹³⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان، المرجع نفسه، ص 12-13، مرجع سابق.

⁽¹⁴⁾ أحمد بابا التميمكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 85.

⁽¹⁵⁾ المرجع نفسه، ص 88.

⁽¹⁶⁾ محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، 8/308.

⁽¹⁷⁾ أحمد بابا التميمكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 88.

⁽¹⁸⁾ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب، 5/418، مرجع سابق.

⁽¹⁹⁾ محمد بن أحمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 267.

⁽²⁰⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان، 6/513، مرجع سابق. وانظر أيضاً: أبو عبد الله محمد بن عبد

الله التنسي الطراز في شرح ضبط الخراز، ص 132.

⁽²¹⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان، ص 24، مرجع سابق.

⁽²²⁾ المرجع نفسه.

2- "راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح": ألفه بعد انتهائه من نظم الدر والعقيان، وهو كتاب جمع فيه صاحبه شعر أبو حمو الزياتي، وزاد عليه ما مدحه به الشعراء⁽²³⁾.

3- رسالة بخصوص نازلة يهود توات: وهي عبارة عن فتواه في قضية يهود توات، وذلك بعدما أحدثوا كنيسة لهم بتوات، فعارضهم بذلك المغيلي المتوفي سنة 909هـ، وحرص على هدمها، وخالفه الشيخ عبد الله العصنوني قاضي توات⁽²⁴⁾، وتوقف الناس عن هدمها، فتمت مراسلة الحافظ التنسي فأجاب موافقاً لرأي المغيلي⁽²⁵⁾، وحين وصل جواب التنسي لتوات أمر المغيلي جماعته بتنفيذ الفتوى فلبسوا آلات الحرب وقصدوا كنائسهم وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها⁽²⁶⁾.

4 - رسالة في إسلام أبي طالب: وقد انفرد بذكرها السخاوي بصيغة التمريض⁽²⁷⁾.

5 - تعليق على مختصر ابن الحاجب في الفقه: وهي رسالة ذكر أحمد بابا التمبكتي أنه سمع بها ولم يتأكد من صحة ذلك⁽²⁸⁾.

6 - الطراز في شرح ضبط الخراز المعروف بعمدة البيان⁽²⁹⁾: ألفه الحافظ التنسي في علوم القرآن والحقيقة أن ما شرحه التنسي ليس كل عمدة البيان بل جزء منه؛ لأن عمدة البيان أوسع من ذلك وهو نظم في الرسم والضبط ألفه الخراز أولاً ثم تراجع عن جزء الرسم لعل رآها فيها أهمها تحديد مصادره والإحالة عليها، فأعاد تصنيف نظم جديد في الرسم سماه مورد الزمآن، وألحق به جزء الضبط الذي كان في أول نظمه عمدة البيان، وهذا الكتاب هو الذي سأخصه بالدراسة في هذه المقالة بغية بيان جهود عالمنا في خدمة كتاب الله والعناية به.

(23) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 329.

(24) أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب، 2/ 21.

(25) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 331.

(26) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، 1/ 268.

(27) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 8/ 210.

(28) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 329.

(29) المرجع نفسه، ص 329.

وعن منزلة للشيخ العلمية: نجد أن الحافظ التنسي من خلال تأليفه الكثيرة والمختلفة كان موسوعياً، مقرئاً ومفسراً حافظاً للأحاديث والآثار⁽³⁰⁾، فقيها مفتياً ومؤرخاً، وكذا أديباً وشاعراً⁽³¹⁾، وقد أثنى عليه وزكاه جمع من أهل العلم والفضل ومنهم:

أ - سئل الشيخ أحمد بن داوود الأندلسي حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال: " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرئاسة مع ابن زكري⁽³²⁾، كما وصفه قائلاً: " شيخنا بقية الحفاظ قدوة الآباء، العالم الجليل بن الإمام العلامة أبي محمد عبد الله⁽³³⁾ .

ب- جاء عن ابن مريم صاحب البستان أنه: " الفقيه الجليل، الحافظ الأديب المطلع، كان من أكابر علماء تلمسان ومحققها⁽³⁴⁾ .

ج - ذكره الونشريسي قائلاً: " صاحبنا الحافظ التاريخي، الأديب، الشاعر⁽³⁵⁾ .

د - ورد عن السخاوي قائلاً: "مشار إليه بالعلم وله تصانيف "⁽³⁶⁾ .

هـ -لقد أشاد بتبيان قدر التنسي وفضائله الحافظ المقرئ عندما وصل دمشق سنة 1037هـ، وسأله بعض أدبائها وشيوخها إجازتهم ، ومن الإجازات التي قالها قصيدته التي كتبها للأديب سيدي يحيى المحاسني والتي ذكر فيها شيخه وخاصة التنسي من بحر الرجز قائلاً: "

وقد أخذت جامع البخاري عن عمي الإمام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس عن شيخه الحبر الشهير التنس
أعني أبا عبد الإله وهو عن والده محمد راوي السنن⁽³⁷⁾ .

(30) محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان، ص14، مرجع سابق .

(31) المرجع نفسه، ص14 .

(32) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص329.

(33) المرجع نفسه بنفس الصفحة .

(34) ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص248 .

(35) أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص329.

(36) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن الناس ، 8 / 120 .

(37) الحافظ المقرئ، نفح الطيب، 2/ 430-432، مرجع سابق

وقال في قصيدته التي أجاز بها الخطيب المحاسني⁽³⁸⁾، من الرجز:
وقد أخذت جامع البخاري عن عبي الإمام ذي الفخار
عبي سعيد وهو عمن يدعى بالتنسي قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه عن ابن مرزوق عن النبيه⁽³⁹⁾.

الفرع الثاني: دوره في إرساء العلاقات العلمية بين الحواضر الإسلامية.

تتجلى هذه البصمات وتكمن في كثير من المعالم والمآثر التي تؤرخ للشيخ الحافظ التنسي في مسيرته العلمية والإصلاحية الطويلة، التي خاضها وبقيت شاهدة على ما بذله من جهد وجهاد في محاربته للجهل، وتغييره للمنكر وذوده عن شريعة الإسلام، ومن حسن المفارقات أن بعض هذه المعالم لم تكن من فعله بنفسه. وكأن القدر زوده بها. ومن ذلك الحيز المكاني (تنس و تلمسان وفاس) الذي جال وتنقل فيه هذا المصلح منذ ولادته إلى تاريخ وفاته. ويتجلى ذلك بوضوح في:

1- مسقط رأسه تنس⁽⁴⁰⁾، وهي مدينة جزائرية تاريخية يعود تاريخ تأسيسها إلى تسعة آلاف سنة قبل الميلاد ويقول بعض المؤرخين بأكثر من ذلك ومدينة تنس الساحلية تقع على مسافة 200 كيلومتر غرب عاصمة البلاد مدينة الجزائر، تحدها شرقا مدينة شرشال وغربا مدينة مستغانم، ومدينة تنس في القديم كانت عاصمة لإقليم تنس الذي يمتد من عشعاشة غربا إلى بومدفع شرقاً، وهكذا يكون هذا الحيز المكاني قد ساهم بدوره – والفضل للحافظ التنسي وغيره – في إرساء العلاقة الفكرية بين مجموعة من الحواضر الإسلامية. فحاضرة تلمسان ترى الحافظ التنسي ابنها، وحاضرة فاس تقول أنه لها. وحاضرة وتوات تُبرز معالمه الفكرية فيها، فهذه البصمة تزيد في متانة العلاقات الفكرية بين هذه الحواضر الإسلامية الجزائرية⁽⁴¹⁾.

⁽³⁸⁾ الحافظ المقرئ، نفح الطيب، 437/2-438، مرجع سابق

⁽³⁹⁾ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان، ص23، مرجع سابق .

⁽⁴⁰⁾ وتعني بلدة في آخر إفريقية مما يلي المغرب، بناها السكان الأصليون على سفح الجبل بنصف فرسخ، انظر: ياقوت الحموي، مختصر معجم البلدان، 77/1.

⁽⁴¹⁾ راضية بن عربية، الحافظ التنسي بين المجد والتاريخ، ص3.

2- ما قيل عن أصله بتنس يقال عن مكان تلقيه للعلم وممارسته لمهنة التدريس بتلمسان، وهذا الجُد المتواصل في طلب العلم، من شأنه أن يديم العلاقات الفكرية بين هذه الحواضر، ومن أبرز علماء تلمسان الذين كان للحافظ التنسي صلة علمية بهم أثناء إقامته بتلمسان دراسة وتديساً: حافظ بلاد المغرب العلامة المقري صاحب نفع الطيب المتوفى سنة 1041هـ، الذي له صلة وطيدة ووثيقة بعالمنا فوصفه رحمه الله بقوله: "شيخ شيوخ شيوخنا"⁽⁴²⁾، وما يقال عن الشيخ المقري يقال عن محمد بن محمد بن العباس الصغير التلمساني، المتوفى سنة 920هـ، الذي قال: "لازمت مجلس الفقيه، العلم الشهير، سيدي التنسي عشرة أعوام وحضرت إقرائه تفسيراً وفقها وحديثاً وعربية وغيرها"⁽⁴³⁾.

المبحث الثاني: التعريف بمصنفه "الطراز في شرح ضبط الخراز" ومنهجه فيه المطلب الأول: موضوع الكتاب وسبب تأليفه:

إن مصنف الحافظ التنسي الموسوم بالطراز في شرح ضبط الخراز، وهو شرح لنظم ضبط الخراز⁽⁴⁴⁾؛ أي ذيل الكتاب الموسوم "بمورد الظمان"، وما قام بشرحه محمد بن عبد الجليل التنسي من عمل في رأي الباحث أحمد بن أحمد شرشال من خلال تحقيقه للكتاب مقسم إلى: أربعمائة وأربعة وخمسين بيتاً للرسم، وما بقي من مائة وأربعة وخمسين بيتاً جعلها للضبط. أورد في مقدمته المقصد من شرحه، ثم ذكر سبب تغيير الخراز لنظم الرسم ولم يغير نظم الضبط، وأوضح فائدة اتباع الضبط الرسم والفرق بين علم الضبط والرسم، كما ذكر دافع اختياره نقط الخليل وهو الشكل المطول باعتباره اشتهر في عصره، وهو ما مال إلى القول به أبو داود الذي تبعه التنسي واعتمد عليه كثيراً خلافاً لأبي عمرو الذي رجح اختيار نقط أبي الأسود⁽⁴⁵⁾. والصحيح أن الإمام التنسي لم يشرح إلا جزء الضبط فقط، المائة وأربعة وخمسين بيتاً فقط، وقد بدأ الشرح في كتابه بقوله: "نسأل الله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه رحمن رحيم. قال -رحمه الله- والله:-

⁽⁴²⁾ الحافظ المقري، نفع الطيب، نفع الطيب، 113/3، مرجع سابق

⁽⁴³⁾ أحمد بابا التميكتي، نيل الأبتهاج، ص 329.

⁽⁴⁴⁾ أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، ص 148.

⁽⁴⁵⁾ المرجع نفسه، ص 147 - 155.

" هذا تمام نظم رسم الخطّ وها أنا أتبعه بالضبط."، وهذا النص واضح أنّه بدأ شرحه بجزء الضبط فقط.

المطلب الثاني: منهجه في تأليف الكتاب:

إن من أهم ملامح المنهج والأسلوب الذي اعتمده في تأليفه الكتاب⁽⁴⁶⁾:

أ - يتميز كتاب الطراز للحافظ التنسي بسهولة الفهم وبساطة الأسلوب وسلاسة عباراته مع خلوه من الغموض والتعقيد مما جعله يحظى بالقبول عند الكثير من المشتغلين بهذا العلم وقراء كتابه⁴⁷.

ب- تأسى في شرحه بصاحب النظم من حيث الالتزام بترتيب أبيات الناظم وحرص على عدم مخالفتها، كما بين مقصود الناظم في ألفاظه وعكف على توضيحها مع بيان الوجوه التي يحتملها النظم.

ج- حرصه على الأمانة العلمية، فهو أمين عندما ينقل أقوال العلماء ولا يتصرف فيها بالزيادة النقصان وينسبها إلى أهلها⁴⁸.

د- يتأسس شرحه على منهج التوسط والاعتدال والتركيز فيه، بين التطويل والاختصار حتى يسهل فهمه وتيسر قراءته، وللدلالة على سلوكه هذا المنهج يقول: "فإني لما رأيت من تكلم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي، الشهير بالخراز، وجدتهم بين مختصر اختصاراً مخلاً، ومطولاً تطويلاً مملاً، فاشتاق نفسي إلى أن أضع عليه شرحاً متوسطاً، يكون أنشط لقارئه، وأقرب لفهم طالبيه"⁽⁴⁹⁾.

هـ - أضفى على مصنفه لمسة بلاغية فكان يستعمل أحياناً أسلوب السجع، ونمثل هنا بما جاء منه في أول باب الهمز، وأول باب النقص من الهجاء، وما بقي من أسلوبه مرسل مع جزالة الألفاظ وحسن انتقائها، وشرحه مفهوم وواضح قام فيه بتفسير ألفاظ الناظم

⁽⁴⁶⁾ أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، ص 147 - 155، مرجع سابق.

⁴⁷ ليلى شبرو و د. كمال قدة، مظاهر النقد والاختيار عند الإمام التنسي من خلال كتابه الطراز، ص 52-53

⁴⁸ المرجع نفسه، ص 52

⁽⁴⁹⁾ المرجع نفسه، ص 147.

ووضّحها وبين المراد منها وبذل جهده في بيان محترزات الناظم كما جاء عنه في أثناء الحديث عن ضبط الهمزة المسهلة أو المبدلة حرفاً متحركاً، فإنها تجعل نقطة حمراء فقال: "وأخرج بقوله: أو البديل إذا تحرك مواضع منها: "أرأيت، ءالله عند من يقرأها بإبدال الهمزة حرف مد فإنها لا تجعل في موضعها نقطة"⁽⁵⁰⁾، كما قيد مطلق الناظم في قوله: "أو بالبديل إذا تحرك" وقيده بالتحريك إذا أدى إلى الإدغام ولا تجعل فيه نقطة أصلاً، مثل النسي لورش⁽⁵¹⁾.

و- سلك الإمام التنسي مسلك التعليل والتوجيه لأغلب الأحكام وهذا ملاحظ جلياً في شرحه، فلا يكتفي بتكرار عبارات النظم أو شرحها وإنما يعلل ويوجه أحكامها وهذا ما صرح به في شرحه⁽⁵²⁾.

ز - استدرك على الناظم مسائل وقضايا لم يتمها الناظم فأتّمها الحافظ التنسي أو أموراً أهملها الناظم فنبه على ذكرها وبعض الأمور أجملها الناظم فنبه على ذكرها وبعض الأمور أجملها الناظم ففصل فيها عالمنا، معبراً عنها بعبارة: "تنبيه أو تنبيهان"⁽⁵³⁾، والتزم بإيراد أبيات النظم كلها من دون زيادة أو نقصان كما هي في أصل النظم بنفس الترتيب التي عرفت به في البداية⁽⁵⁴⁾.

ح- استخدم أسلوب الحوار أثناء تقرير المسألة وذكر أهم الاعتراضات عليها ثم يجيب على هذه الاعتراضات ويفندها بقوله: "فإن قيل " قاصداً ذكر الرأي المخالف، يجيب عليه بقوله: "قلت"⁽⁵⁵⁾، كما يظهر شخصيته العلمية عندما لا يعجبه رأي أو كلام أحد شراح النظم بقوله: "وفيه نظر"⁽⁵⁶⁾.

⁽⁵⁰⁾ ليلي شبرو و د. كمال قدة، مظاهر النقد والاختيار عند الإمام التنسي من خلال كتابه الطراز ، ص 148، مرجع سابق.

⁽⁵¹⁾ المرجع نفسه، ص 146

⁽⁵²⁾ المرجع نفسه، ص 149.

⁽⁵³⁾ المرجع نفسه، ص 150. انظر هذه الملامح المنهجية أيضاً بتصرف في مقال: ليلي شبرو و د. كمال قدة، مظاهر النقد والاختيار عند الإمام التنسي من خلال كتابه الطراز ، ص 52- 53.

⁽⁵⁴⁾ المرجع نفسه، ص 150.

⁽⁵⁴⁾ المرجع نفسه، ص 150.

⁽⁵⁵⁾ المرجع نفس، ص 150.

⁽⁵⁶⁾ المرجع نفسه، ص 150

ط- قام بإعراب النظم كله لأنه بالنسبة إليه يزيد في توضيح المعنى، واعتنى بذكر أقوال علماء السلف من المتقدمين كأبي عمرو الداني من خلال كتابه المحكم وذيل المقنع وأبي داود من خلال تنزيله وذيله، واعتمد عليهم كثيراً وقلل من الاعتماد على المتأخرين وأعرض عن الآراء الضعيفة والشاذة إلا ما قوي منها⁽⁵⁷⁾.

ك- ظهر على الحافظ التنسي شديد التأثير بمواقف الناظم وأفكاره في موضوع الرسم والضبط وكان ينافح من أجلها وتجلى ذلك في تصويبه لجميع آرائه⁽⁵⁸⁾.

ل- لقد اعتمد الحافظ التنسي كثيراً وبنسبة كبيرة في كتابه الطراز على كتب عالمين في علوم القرآن: المحكم في نقط المصاحف وذيل المقنع لأبي عمرو والتنزيل وفن الضبط لأبي داود، وهذا ما صرح به في خاتمة الشرح قائلاً: "ونحن إن شاء الله نبين بحسب الاستطاعة من كلامه المقصود معتمدين في ذلك على ما عند أبي عمرو وأبي داود، إذ هما في هذا الشأن أعظم قدوة وعليهما اعتمد من بعدهما وبهما الأسوة"⁽⁵⁹⁾، وقال أيضاً "...وقد تحرينا فيه الصواب جهد الاستطاعة ولم نعدل عما عند الأئمة المقتدى بهم في هذه الصناعة إلا شيئاً يسيراً أدى إليه تحري الصواب مما يرجع إلى التوجيه والتعليل"⁽⁶⁰⁾.

⁽⁵⁷⁾ ليلى شبرو و د. كمال قدة، مظاهر النقد والاختيار عند الإمام التنسي من خلال كتابه الطراز ، ص151 ، مرجع سابق

⁽⁵⁸⁾ المرجع نفسه، ص152 .

⁽⁵⁹⁾ المرجع نفسه، ص155 .

⁽⁶⁰⁾ المرجع نفسه، ص156 .

المبحث الثالث: إسهامات التنسي رحمه الله في علم الضبط من خلال هذا الكتاب:

لقد بذل العلامة الحافظ التنسي جهوداً جبارة في سبيل النهوض بخدمة القرآن الكريم، والعناية برسمه وضبطه، ويعد كتابه " الطراز في شرح ضبط الخراز " الذي ألفه التنسي سنة 868هـ من أنفس الكتب في فن الضبط لكتاب الله الكريم ، وهو عمدة النسخ في نقط⁽⁶¹⁾ المصاحف وضبطها بالشكل⁽⁶²⁾ ، ومصدر للتصحيح والضبط وكان أساساً لكل المصنفات التي ألفت بعده في هذا الباب ، وجرى العمل به في مختلف دول العالم الإسلامي في نقط المصاحف وضبطها بما قرره في شرحه الطراز، وقد جاءت تقارير اللجان العلمية التي أشرفت على مصحف المدينة المنورة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية ، وكذا طباعة مصاحف كل من الجزائر والمغرب ومصر....على أنها " أخذت طريقة ضبطه بما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب الطراز على ضبط الخراز للإمام التنسي. وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال وقد طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بعد تقويمه من طرف لجنته العلمية⁽⁶³⁾ .

وإذا أمكننا أن نبرز رأي النقاد وأهل الفن في الحديث عن مصنفه "الطراز في شرح ضبط الخراز" فإنه يمكن اعتبار كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز من أهم شروح ضبط الخراز على كثرتها وأعلىها قيمة، ومضمون مصنفه هذا يمثل إضافة علمية نوعية لهذا الفن، ويفسر ذلك الاهتمام والإعجاب الكبير والعناية الفائقة به من طرف علماء الرسم والضبط، بنقله ونسخه وتداوله، كما اهتموا بروايته والإجازة فيه، فكثرت عليه الحواشي

⁽⁶¹⁾ كلمة النقط تستعمل في معنيين متقاربين: الأول: الدلالة على النقط الحمراء التي ينسب وضعها لأبي الأسود الدؤلي والتي يتمثل الحركات القصيرة وتسمى نقط الإعراب أو النقط المدور، تمييزاً له عن المعنى الثاني للنقط، وهو إعجام الحروف في ذاتها لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، ويتحدد المقصود به بحسب ما يضاف له، فيقال: نقط الإعراب وهو نقط الحركات كجعل الفتحة نقطة فوق الحرف وجعل الكسرة نقطة تحت الحرف والضممة نقطة أمام الحرف ، يدل على ما يعرض للحرف من حركة وسكون، ويقال له النقط المدور . انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، ص33.

⁽⁶²⁾ هو ما يدل على عوارض الحرف من حركة وسكون، وهو ما يميز الحرف من جهة كونه متحركاً مع بيان نوع حركته، من ضمة أو فتحة أو كسرة، أو من جهة كونه ساكناً يزيل إبهامه وإشكاله، انظر: محمد علي سلامة منبج الفرقان في علوم القرآن، ص165.

⁽⁶³⁾ أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، ص5.

والتعليقات والتعقيبات والاستدراكات، وكان محل مدح من العديد من العلماء خاصة تلميذه أحمد بن داود الأندلسي⁽⁶⁴⁾، إذ يقول: "وكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز أجاد فيه وأفاد وأحسن ما شاء وأراد"⁽⁶⁵⁾، وأثنى عليه الكتاني فقال: "هو المعول عليه في أحكام القراءات ومعرفة توجهها وحفظ مذاهب أئمتها فلا تجد أستاذاً بالمغرب إلا وقد روى عنه أو عن تلاميذه، وكان شيخاً حافظاً وحجة محققاً، لافظاً مجوداً، إماماً"⁽⁶⁶⁾.

خاتمة:

للعامة الحافظ التنسي رحمه الله دور كبير في التأصيل لمدرسة جزائرية في ضبط القرآن الكريم، بذل من خلالها جهوداً في سبيل النهوض بخدمة القرآن الكريم تعليمياً وتأليفاً، قراءة وحفظاً وتفسيراً، والعناية بضبطه، وبدا ذلك جلياً في كتابه "الطراز في شرح ضبط الخراز" الذي يعتبر من أجل الكتب في فن الضبط والرسم، وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات المتوصل إليها:

النتائج: وبعد هذه العصاره نصل إلى تسجيل النتائج الآتية :

أ- للحافظ التنسي جهود علمية قيمة في مجال خدمة القرآن الكريم تفسيراً وضبطاً ورسمياً، تدريساً وتأليفاً، ويظهر ذلك جلياً من خلال كتابه الطراز .

ب- يستشف القارئ لكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز للحافظ التنسي بيان الصلة والعلاقة القوية بين فن الضبط من جهة وعلوم الرسم العثماني والقراءات وعلوم اللغة العربية من جهة أخرى، مما يجعلنا نجح للقول بأن الحافظ التنسي قد جعل التكامل المعرفي بين علوم القرآن وعلوم العربية أساساً في مادة الكتاب العلمية وضرورة منهجية بغية فهم قضاياه فهما سليماً ودقيقاً.

ج- اهتم الحافظ التنسي رحمه الله في كتابه الطراز بالضبط والخط الذي يؤدي غرض التلاوة وما إضافة النقط والشكل إلا لتحقيق غرض التلاوة.

⁽⁶⁴⁾ أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز ، ص160، مرجع سابق

⁽⁶⁵⁾ المرجع نفسه، ص161.

⁽⁶⁶⁾ المرجع نفسه، ص162

د- يعتبر كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز من أهم شروح ضبط الخراز على كثرتها وأعلالها قيمة، لما يتميز عن غيره من ملامح منهجية من حيث الشكل والمضمون جعلت منه إضافة علمية نوعية لهذا الفن، الأمر الذي أكسبه القبول والاعتماد عليه في مجال تصحيح المصاحف قديماً وحديثاً.

هـ- لقد وفق الحافظ التنسي إلى حد بعيد في اختيار عنوانه للكتاب، فهو فعلاً طراز عال من حيث الشكل والمضمون والمنهج والأسلوب، وقد ظهرت شخصيته العلمية واضحة من خلال تحليل المسائل ومناقشتها وعقد مقارنات بين أقوال أهل العلم في الضبط نبه من خلالها إلى تحديد الآراء القوية والضعيفة، كما أبرز عديد اختياراته في هذه المسائل وانتقد بعض الآراء نقداً بناءً موجهاً ومعللاً، ولهذا كان المرجع الأساس المعول عليه عند المشتغلين بضبط القرآن الكريم في العصور المتأخرة، وبخاصة المؤسسات القائمة على طبع المصاحف في العصر الحديث.

التوصيات: تنمة لهذه النتائج أرى أن هناك توصيات واقتراحات جديرة بالذكر تتمثل فيما يلي:

أ- ضرورة الاهتمام في مساجدنا ومدارسنا القرآنية ومعاهدنا الإسلامية وكياناتنا الشرعية بالرسم العثماني وتعليم أحكام التلاوة وإتقان القراءة برواية ورش ابتداءً ثم بمختلف القراءات السبع المشهورة انتهاءً والجمع بين حفظ القرآن وتعلم تفسيره.

ب- التأكيد على أهمية إعطاء كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز للحافظ التنسي المكانة اللائقة به في المناهج الدراسية المتعلقة بالتربية الإسلامية والعلوم الشرعية والإسلامية في المنظومة التربوية والجامعية والمسجدية تعريفاً وتديساً وبحثاً.

ج- يقع على عاتق قطاعات التعليم العالي والبحث العلمي والشؤون الدينية والأوقاف والثقافة والإعلام التعريف بعلماء الجزائر وبيان جهودهم في خدمة القرآن وتنشيط حقل البحث والدراسات في هذا المجال وتنظيم الملتقيات العلمية وتحفيز الباحثين والدارسين لهذه الشخصية وأمثالها من علماء الجزائر، وخاصة تحقيق تراثها وإبراز الجوانب العلمية فيها والتي لم تنل حقها من البحث والاستقصاء كعلم التفسير والحديث والفقه والمنطق واللغة والأدب والتاريخ والإصلاح الاجتماعي، وطبع كتبهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد بن أحمد شرشال، التوجيه السديد في رسم وضبط بلاغة القرآن الكريم، الكويت، حوليات كلية الشريعة والقانون، 2002م.
- 2- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر (د.ت.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 3- أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004م.
- 4- أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني، وفيات الونشريسي، القاهرة، شركة نوابع الفكر للنشر والتوزيع والتصدير، 2009م.
- 5- أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1981م.
- 6- احמיד بن زينة، دور علماء توات في إرساء العلاقات العلمية في الحواضر الإسلامية، الشيخ المغيلي نموذجاً، الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، " المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في نشره وترسيخه، جامعة أدرار، الجزائر، 2010م.
- 7- خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2002م.
- 8- راضية بن عربية الحافظ التنسي بين المجد والتاريخ، الملتقى الوطني الثاني، حول أعلام حوض الشلف، كلية الآداب واللغات جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2020م.
- 9- شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، (د ت ط).
- 10- شهاب الدين أحمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، بيروت، لبنان، دار صادر، 1997م.
- 11- طویل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها بالمغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، الجزائر، المتصدر للترقية الثقافية والإعلامية، 2011م.
- 12- عائشة تازي، عمارة فاطمة الزهراء، حاضرة تنس ودورها في دعم الحكم الزياني - سياسياً وفكرياً-، مجلة الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 15، ع. 2، 2023.
- 13- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، الشركة الجزائرية، مراقة وبوداود وشركاهما، 1965م.
- 14- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، لبنان، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1957م.
- 15- ليلى شبرو و د. كمال قدة، مظاهر النقد والاختيار عند الإمام التنسي من خلال كتابه الطراز، مجلة الشهاب، مج. 6، ع. 1، 2020م.
- 16- محمد بن ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م.

- 17- محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، دار النشر فرانس شتاينر بقسبادن . 1982م.
- 18- محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1999م .
- 19- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، المغرب، مطبعة فضالة ، 1977م.
- 20- نعيمة بوكريدي قراءة في سير وتراجم علماء تنس في العهد الزياني من خلال المصادر التاريخية، علماء بيت آل التنسي أنموذجاً، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع.4، 2021م.
- 21- ياقوت الحموي، مختصر معجم البلدان، بيروت، لبنان، دار صادر، 1992م .